

الأخلاق في القرآن فروع المسائل الأخلاقية

[61] وعندما يُؤمر نبي الإسلام بالتواضع وإظهار المحبة للمؤمنين فإنّ وظيفة المؤمنين وتكليفهم الأخلاقي تجاه بعضهم البعض واضح، لأن النبي الأكرم يُعتبر قدوة وأُسوة لجميع أفراد الأُمّة الإسلامية. وقد ورد هذا المضمون أيضاً في الآية 88 من سورة الحجر حيث يقول تعالى (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ مِيثَاقًا وَتَوَسَّعَ فِي الْأَرْضِ كَرَاهٍ يُوقِفُ عَلَى الْمَوَاقِفِ أَلَّا يَتَّبِعُوا الْأَوْثَانَ وَتَوَسَّعَ فِي الْأَرْضِ كَرَاهٍ يُوقِفُ عَلَى الْمَوَاقِفِ أَلَّا يَتَّبِعُوا الْأَوْثَانَ) وهنا نرى أنّ الخطاب في هذه الآية هو النبي الأكرم أيضاً حيث أمره الله تعالى بخفض جناحه للمؤمنين أي بالتواضع المقرون بالمحبة في تعامله مع أتباعه من المؤمنين. وشبه هذه العبارة مع تفاوت بسيط ورد في سورة الإسراء كتكليف للمسلم تجاه والديه حيث تقول الآية (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ مِيثَاقًا وَتَوَسَّعَ فِي الْأَرْضِ كَرَاهٍ يُوقِفُ عَلَى الْمَوَاقِفِ أَلَّا يَتَّبِعُوا الْأَوْثَانَ) -- ومن مجموع ما ورد من الآيات أعلاه نستوحي جيداً أنّ القرآن الكريم لم يكتف بدم التكبر والاستكبار في مجمل السلوك الأخلاقي للإنسان بل أكد على النقطة المقابلة له أي التواضع والانعطاف واثني عليه بتعبيرات مختلفة. -- التواضع في الروايات الإسلامية: لقد ورد في المصادر الروائية لدى الشيعة وأهل السنة أحاديث كثيرة في باب التواضع تبين أهمية هذه الصفة الأخلاقية في حركة الإنسان التكاملية والاجتماعية، وورد في بعضها علامات المتواضعين ونتائج وثمار التواضع وحدوده وآدابه. أما عن أهمية التواضع فقد وردت تعبيرات جميلة وجذابة في الروايات الشريفة منها : 1 - ورد في الحديث الشريف أنّ رسول الله ﷺ قال يوماً مخاطباً أصحابه : "مَا لِي لَا أَرَى عِلَاقَةً كُفْرًا حَلَاوَةً الْعَبَادَةِ ؟ ! قَالُوا : وَمَا حَلَاوَةُ الْعَبَادَةِ ؟ قَالَ : التَّوَضُّعُ !" (1). 1. تنبيه الخواطر (مطابق لنقل ميزان الحكمة، ج 4، ح 21825) ; المحجّة البيضاء، ج 6، ص 222.